لا
للكراهية



دكتور
جمال محمد أبو زيد

أستاذ
عابد إسكندر باسيليوس

سلسلة لا

-٢-

لا..

للكراهية

إعداد

دكتور
جمال محمد أبو زيد

الأستاذ
عابد إسكندر باسيليوس

اسم الكتاب: **لا للكراهية**

الناشر: *دار ومكتبة الحرية*



ت:٢٥٧٨١٠٤٩- ٢٥٧٨١٠٤٧

فاكس :٢٥٧٦٢٧٢٨

٤ ش محمد بك عاصم- أول شبرا- بجوار مول السعد.

Email: alhorriyiea_house@yahoo.com

Website: www.alhorriyiea.com

إعداد: أ / عابد إسكندر باسيليوس

د / جمال محمد أبو زيد

أ / أنطوانيت جرجس ميخائيل

تقديم ومراجعة: أ.د / أنطون يعقوب ميخائيل.

رقم الايداع : ٢٠١٠/١١٦٩٨

I.S.B.N. : 977-6101-59-3

كلمة الناشر

يسعدنا أن نضع بين يديك أيها القارئ الكريم مجموعة كتيبات "لا"، كحلقة جديدة في سلسلة إصدارتنا التي تهدف إلى إلقاء الضوء جانب من قضايانا الملحَّة المرتبطة بحياتنا اليومية، وبعلاقتنا بعضنا ببعض، للمساعدة على التعرف على طبيعتها وأبعادها، ومدى تأثيرها على وجداننا وسلامتنا النفسية، وعلى وحدتنا وسلامنا الاجتماعي.

وهذا من جانبنا، يمثّل التزاماً منا والتحاما مع جموع المؤمنين بالوطن الغالي، الساهرين على تماسكه والساعين إلى سعادته وازدهاره، في إطار من السماحة الحقه النابعة من فهم واعٍ لديننا، مسيحيين كنا أو مسلمين، الذي يحض على فضيلة التعايش السلمي وقبول الآخر، أياً كان هذا الآخر، تأكيداً لإنسانيتنا المشتركة، وعبوديتنا للإله الواحد الأحد، خالق الجميع من طينة واحدة، تماسكت وتشكلت بصورة سوية بفعل إرادة حبه الأبدي الذي يحتضن الجميع دون تفريق أو تمييز، بإعتباره مصدر حياتهم، فيه وحده "نحيا ونتحرك ونوجد"[1] وقد "صنع الكل حسناً في وقته وأيضاً جعل الأبدية في قلبهم التي بلاها لا يدرك الإنسان العمل الذي يعمله الله من البداية إلى النهاية".[2]

ويقوم على تحريرها مجموعة من المؤمنين بهذه الرسالة السامية، لا تدعى تميزاً أو ريادة، بل راغبة في أن تكون صوتاً للأغلبية

---

[1] سفر أعمال الرسل ١٧ : ٢٨.

[2] سفر الجامعة ٣: ١١.

الصامته، تشجعها على الخروج عن صمتها، فالصمت المتخاذل لا ينصف شعباً، ولا ينصر قضية عادلة.

والمأمول أن تلقى التقدير والتجاوب من أجل تدعيم مجتمع المحبة والمساواة والعيش المشترك. وتكون كتيباتها كالعصا تفجر العزم مع ينابيع الأمل، تستقر في الجيوب قريبة من القلوب في الطريق الصاعد إلى قمة الاستنارة والإيجابية.

دار ومكتبة الحرية

القاهرة

مقدمة السلسلة

إن النطق الذي تميز به الإنسان بين خلائق الله يفرض عليه الإفصاح عن فكره ومكنونات صدره، حين يدعوه الواجب والضرورة أن يتكلم ويبدي رأياً دفاعاً عن حق أو صواب. فالصمت والأنطواء، عندئذ، تقوقع مرفوض ونكوص مهين، وتخاذل لايليق ولا ترضى به السماء. والثابت على مدى التاريخ البشري أن القيم العليا سادت، والحق انتصر وشمخ، بفضل "شجاعة الكلمة" التي تحلى بها أفاضل الرجال وأنبلهم، الذين آمنوا بالقضية ووضعوا رؤوسهم على أكفهم في مواجهة الموج الهادر، وقالوا قولتهم "نعم أو لا" رغم ما فيها من صرامة ملموسة: "نعم" تأييداً لما يستحق التأييد، و "لا" لما ينبغي رفضه أو اقتلاعه.

ونعم أو تضاد، جزء من منظومة حياتية عرفتها البشرية منذ البدء، منذ تعلمت أن النهار يقابله الليل، والنور تقابله الظلمة، والحياة يقابلها الموت، وأن الأشياء بأضدادها تعرف. وعليها أن تعيش بها وتتعايش معها بمعادلة تتسم بالاتزان والحساسية. وإن كانت "لا" تتصف بالصعوبة وتتضح بالقسوة، وتصور بالعبوسة والجمود.

ومع ذلك، كثير من مواقف الحياة وأدقها تكون هي الأصدق والأنفع، ولهذا نجد ورودها في الكتب المقدسة – نفيا ونهيا – أضعافاً مضاعفة لكلمة نعم، لقدرتها على هدم الشر بصوره لإقامة الخير وتنصيبه. والفلاسفة أما كلمة "لا" فتنشئ الحضارة، فعندما يقولها الإنسان عن وعي وتفهم، وفي موضعها المناسب، إنما يطلق أول شرارة لعملية التطور والترقي، باعتبارها محفّزا على التغيير سبيلاً إلى الإبداع.

وتطلقها هذه السلسلة من الكتيبات في وجه كل ما هو قبيح ولا ينفع الناس، وقد يهز فعلاً أسس مجتمعهم، ويهدد سلامه وأمنه ووحدته، ويبدّل هناء عيشهم ورغده، كالكراهية والتعصب الأعمى، والتحيز والتمييز وعدم المساواة، وأمثال ذلك من القبائح المجتمعية الذميمة. وقديماً قال نحميا – باني الأسوار المهدمة – للذين فسدوا وأفسدوا المجتمع "هل نسكت لكم أن تعملوا كل هذا الشر العظيم بالخيانة ضد إلهنا"؟ كلا وألف كلا ولا.

المعدّون

تقديم

الكراهيةِ، لغوياً، من الفعل كره، ومفرداته كراهة وكرةً وكاره ومكروه، تعبيراً عن عدم الحب والنفور. يضمرها كل من يضيق صدره بالآخر، فينفر منه ولا يطيقه إلى حد مقته وبغضه. وفي معجم المنجد، مثلاً تعني الكراهية الشعور الشديد الذي يحول المرء عن شخص أو شئ ما ويدفعه إلى ازدرائه، أي للنفور منه.[٣]

والكراهية، علمياً، مشاعر إنسحابية يصاحبها نفور أو عدم تعاطف، ينتهي إلى اشمئزاز شديد إلى حد العداوة، تجاه شخص ما أو شيء أو ظاهرة معينة. وتؤدي بداهة إلى تجنبه أو عزله، وقد تتصاعد إلى حد الرغبة في تدميره والتخلص منه. وهذا منعطف خطير له فواجعه على مجتمع البشر وغير البشر.

وهنا ينبغي أن ندق ناقوس الخطر ضد هذه المشاعر المرضية غير السوية، والتي يمكن وصفها بالشريرة، لأن تراكمها واختزانها واجترارها يصيّرها بمستوى أسلحة الدمار الشامل، إذ أنها في واقع الحال هي النواة الحقيقية لكل صور العنف والإرهاب الدموية.

وواجبنا أن نلم شملنا، ونستجمع قوانا، ونستدعى شجاعتنا، ونتصدى لهذه النزعة/ الآفة، ونصرخ في وجهها عالياً بكلمة "لا". وحبذا لو دوّت مع كل آذان من مآذن المساجد، ومع كل دقة جرس من منارات الكنائس، ومن كل مدرسة وبيت، لتفر هاربة مع عزازيل[٤] إلى برية التيه والضياع، وتنجو مجتمعاتنا من أذاها وشرورها. على أن نزرع الحب في كل مكان تخليه تحصينا له وتجميلا، فبالحب وحده تتضوع الحياة وتتفردس.

---

3 لويس معلوف: معجم المنجد في اللغة والإعلام، بيروت، لبنان، دار المشرق، ١٩٩٢، ص ١٢٢٨.

4 سفر اللاويين ١٦: ٨، ١٠، ٢٦.

مقدمة

يمكن للخوف أن يبنى على الخوف من غرض معين أو ماضي سلبي نتج عن التعامل مع ذلك الغرض، يمكن للناس أن يشعروا بالنزاع والمشاعر أو الأفكار المعقدة التي تستلزم الكره، كعلاقة الكره والحب.

أحيانا يستخدم لفظ "الكراهية" عرضاً للمبالغة في وصف شيء لا يطيقه شخص ما فحسب، مثل شكل معماري معين، حالة طقس محددة، وظيفة معينة .. أو حتى بعض أنواع الطعام.

تستخدم لفظية "كراهية" أيضا لوصف إجحاف أو حكم مسبق، تعصب أو إدانة تجاه فئة أو طبقة من الناس أعضاء هذه الفئة، العنصرية هي أبرز مثال على ذلك. وهذه الكراهية من الممكن أن تتسبب في تدمير كل البشر إذا استقرت في القلوب الكارهين.

إن جريمة الكراهية ترتكب بأشكال مختلفة من دولة إلى أخرى رغم أن أركانها واحدة وهي:

١- الركن الشرعي ويراد به النص القانوني الذي يجرم هذا السلوك.

٢- الركن المادي ويراد به الفعل الذي قد يقع إما بوسيلة ايجابية وهي ممارسة الجريمة مثل الاحتقار أو الازدراء أو العنف ضد مجموعة أو شخص، أو قد يكون الركن المادي بوسيلة سلبية ونقصد بذلك الامتناع عن القيام بعمل معين يوجبه القانون وذلك بدافع الكراهية مثل رفض معالجة أو إنقاذ شخص بسبب أصله أو دينه أو لونه أو جنسه.

٣- الركن المعنوي الذي يراد به القصد الجنائي حيث أن هذه الجريمة هي من الجرائم العمدية التي يجب أن يتوفر فيها هذا الركن.

ومن الطبيعي أن للأمم المتحدة دوراً كبيراً في مكافحة كل أشكال التمييز العنصري أو نشر الكراهية وفقا لقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٩٠٤- د ١٨ في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٦٣ الذي هو عبارة عن إعلان من الأمم المتحدة للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري وقد ورد في المادة ٧ من الإعلان المذكور ما يلي:

المادة ٧ : ١. كل الناس سواسية أمام القانون ولهم الحق في التمتع بحماية متكافئة عنه دون أية تفرقة، كما أن لهم جميعا الحق في حماية متساوية ضد أي تميز يخل بهذا الإعلان وضد أي تحريض على تمييز كهذا.

٢. لكل إنسان الحق، على قدم المساواة التامة مع الآخرين، في أن تنظر قضيته أمام محكمة مستقلة نزيهة نظراً عادلاً علنياً للفصل في حقوقه والتزاماته وأية تهمة جنائية توجه إليه.

والمادة ٢٦: ٢. يجب أن تهدف التربية إلى إنماء شخصية الإنسان إنماء كاملاً، وإلى تعزيز احترام الإنسان والحريات الأساسية وتنمية التفاهم والتسامح والصداقة بين جميع الشعوب والجماعات العنصرية أو الدينية، وإلى زيادة مجهود الأمم المتحدة لحفظ السلام.

الكراهية وعلم النفس

الكراهية في التحليل النفسي في إطار علم النفس تندرج الكراهية كواحدة من الانفعالات الإنسانية، باعتبار الانفعال شعورا emotion، إيجابياً أو سلبياً نحو شخص أو جماعة أو موضوع ما ويكون مصحوبا" باستثارة فسيولوجية، وبفكرة أو خبرة عقلية شعورية، وبسلوك صريح. والكراهية، بوصفها انفعالاً، لها أربعة أبعاد: بيولوجي biological معرفي cognitive وسلوكي behavioral واجتماعي حضاري socioculrural والمقصود بالبعد البيولوجي إن الجهاز السمبثاوي المسئول عن إحداث الاستثارة في الجسم "والباراسمبثاوي" المسئول عن تهدئة الجسم، ينشطان في حالة حصول انفعال يحدثه تنبيه أو مثير أو موقف معين. فيما يتدخل البعد المعرفي "العقلي" في تصعيد الانفعال أو خفضه، تبعا للفكرة التي يحملها الفرد بخصوص الموضوع أو المثير. أما المكوّن السلوكي للانفعال، فانه يظهر من خلال تعابير الوجه ولغة الجسد التي تعمل أيضاً على زيادة مستوى الانفعال أو خفضه.

وفيما يخص العوامل الحضارية الاجتماعية، فإن الشعوب تختلف في التعبير عن بعض انفعالاتها سلوكياً. فعلى سبيل المثال، إذا نشب شجار بين شخصين في أحد المجتمعات البدائية بإفريقيا فإن احدهما يقوم بضرب صخرة أو شجرة قريبة منه، ولا يضرب احدهما الآخر، وإذا تعارك شخصان في مجتمع آخر "ورفع احدهما يديه مستسلما" فان الآخر يتوقف عن ضربه. وبالمقارنة، فإنه من الملاحظ في مجتمعاتنا أن الآخر لا يتوقف عن ضرب خصمه عادة حتى لو استسلم له، كما هو حاصل في بعض مجتمعاتنا.

ومن المفارقات أنه إذا تشاجر كلبان وانبطح أحدهما على ظهره مستسلما للآخر، فان هذا الآخر يتوقف ويتركه، فيما لا يفعل ذلك الإنسان بل يمعن في ضرب خصمه المستسلم له.

والمعروف أن الإنسان يمتلك منظومة ثنائية من الانفعالات، ايجابية وسلبية. بمعنى أن كل انفعال ايجابي، يقابله انفعال سلبي مضاد له، فانفعال الفرح مثلاً يقابله انفعال الحزن. ولا يمكن للانفعالين المتناقضين أو المتضادين أن يظهرا سوية "في وقت واحد" لدى الإنسان، إلا في بعض حالات المرض النفسي أو العقلي مثل "الهوس الاكتئابي".

ويبدو أن الطبيعة البشرية تميل إلى إظهار الانفعالات الايجابية وترغب في ممارستها بحياتها اليومية، فالإنسان يحب أن يكون فرحاً ويكره أن يكون حزيناً مهموماً. وهذا يعني أن الإنسان يرغب، بطبيعته، في ممارسة الحب وتجنب الكراهية في علاقته بالآخرين. ولهذه الحالة ثلاثة أسباب: الأول: بيولوجي يتعلق بالدماغ. ففي حالة الحب تنشط خلايا الدماغ وتنتعش ويرتاح، فيما تضطرب حركة الموجات الدماغية الكهربائية في حالة الكراهية، ويتعب الدماغ. والدماغ يميل بداهة إلى ما يريحه ويتجنب ما يتعبه.

والثاني، نفسي فالشعور بالحب يجلب المسرّة للنفس وينشّط حتى جهاز المناعة،[5] فيما ينجم عن الكراهية الشعور بالتوتر ويعيش الفرد حالة المرعوب الذي يتوقع الشر في أية لحظة.

---

[5] والمأثور عن بليز باسكال Blaise Pascal منوهاً بالمحبة: "الكلمات الرقيقة لا تُكلّف شيئًا كثيرًا، ولا تجرح اللسان أو الشفاه. ومع أنّها لا تُكلّف الكثير، إلاّ أنّها تُنجِز الكثير. إنّها تجعل الآخَرين طيّبين، كما أنّها تطبع صورتها في أرواح البَشَر، ويا لها مِن صورة جميلة!"

والثالث: اجتماعي فالإنسان المحبوب اجتماعياً يحظى باحترام الآخرين وتقديرهم له، فيما يميل الناس إلى الابتعاد عن الشخص المكروه اجتماعياً فيعيش حالة العزلة والنبذ والحقد. ولهذه الأسباب (العضوية المريحة للدماغ والجسد، والنفسية المريحة للروح، والاجتماعية في العلاقة الممتعة بين الفرد والآخر) فإن الغالبية المطلقة من الناس تتجنب الكراهية وتسعى إلى أن يكون الحب هو السائد بينهم، باستثناء الحالات المصابة بأمراض عقلية أو اضطرابات في الشخصية مثل، الفصام الإجرامي والبارانويا والسيكوباث. وهذا يعني أن الطبيعة البشرية تختار الحب عفوياً وتسعى إلى أن تجعله يسود بين الناس، ولا تلجأ إلى الكراهية إلا مضطرة أو مجبره.

والكراهية عموماً حالة مرضية عندما يصاب بها الإنسان على المستوى الشخصي فإنها تنعكس على أخلاق ذلك الإنسان، فلا ينتظر من الكراهية أن تجعل من الإنسان ودوداً ومحباً للآخر، ولا تجعله مستعداً للتواصل والحوار. وليس بغريب أن تسمع من ذلك الإنسان المتشبعة روحه بالكراهية مصطلحات وكلمات وخطباً متشددة في النظر إلى الآخر المختلف، تكون في حقيقتها دعوات لممارسة العنف في التعامل مع كل من يقف في الخط المقابل ولا يأخذ بنفس الآراء والاجتهادات التي يدعي بصحتها.

فالإنسان الذي يصل به الاختلاف في الرأي والاجتهاد إلى حد الكراهية هو إنسان مشوّه نفسيا وقابل للاختراق من قبل من يريد المساس بأمن واستقرار المجتمع. خاصة حين تتضخم كراهيته للآخر المختلف بشكل يجعل التخلص من ذلك الآخر أمراً مشروعاً له ومبرراً نفسياً وعقلياً.

مما يؤكد أنها مرض نفسي عضال تجعل الفرد المصاب بها غير مستأمن حتى على نفسه.

وقد تصل الكراهية بهذا الإنسان إلى أن يكره حتى نفسه وحياته فينتحر، ويفضل بذلك الموت على أن يعيش مع حياة قد فشل هو في الانسجام معها.

علماً بأن الكراهية درجات، أخفها هي التي يشعر بها الفرد ويستطيع إخفاءها أو التعبير عنها بشكل خفيف، وأوسطها درجة الغضب الذي يجري التعبير عنه لفظياً "(السب، التشهير..) أو جسديا" (الضرب بالأيدي أو بأدوات بسيطة). ويحصل الغضب حين يشعر الفرد بأن صديقا له قد خانه أو خذله، أو أنه لا يعامل بشكل عادل، أو حين يتوقع حصول اعتداء عليه.

وأقوى درجات الكراهية حين تصل إلى حالة "الحقد" التي تدفع صاحبها إلى ممارسة العنف ضد الآخر الذي يرى فيه المستلب أو المغتصب أو المانع لحق أو حاجة مشروعة تخصه أو تخص الجماعة التي ينتمي إليها.

ومع كل هذه الجهود المبذولة من السلطات الأمريكية لمنع جرائم الكراهية إلا أنها ماتزال تشكل هاجساً كبيراً مقلقا في ميدان انتهاك حقوق الإنسان وتمارس يوميا خاصة بعد تعرض الولايات المتحدة الأمريكية لسلسلة من الهجمات الإرهابية عام ٢٠٠١ التي غذت مشاعر الكراهية في المجتمع الأمريكي خاصة ضد العرب.

الكراهية وعلم الاجتماع

ومن المنظور الاجتماعي، للكراهية ففي السويد مثلا قد يكون الحكم الصادر من المحكمة بالغرامة فقط أو بالحبس لمدة أقصاها سنتين أو بالحكم المشروط طبقا لقانون العقوبات السويدي لعام ١٩٦٢ (المادة ٧٠٠) في حالات ارتكاب جريمة الكراهية ضد الأخر ومنها جريمة العنصرية وتكون العقوبة أشد إذا أدت إلى إزهاق الروح.

وقد بين القانون السويدي هذه الجريمة في الفصل رقم ٢٩ وأوضح جهاز النيابة العامة السويدية بأن هذه الجريمة تحصل حين يكون هناك حالة التحريض على الكراهية والتمييز غير المشروع، كما حدد أنواع جرائم الكراهية حين يكون الباعث عليها انتهاك حقوق المجتمع أو أي شخص بسبب العرق أو اللون أو الميل الجنسي أو العقيدة أو الدين أو المذهب أو غير ذلك حيث نص القانون على وجوب الاحترام للآخر وعدم ممارسة أي شكل من أشكال العنف اللفظي أو المادي.

أما في الولايات المتحدة الأمريكية فقد شهدت جهودا كبيرة وظهور حركات من دعاة الحقوق المدنية لمكافحة جرائم الكراهية المتفشية فيها ومنها حركة الداعية لحقوق الإنسان مارتن لوثر كنج الذي قال قبل اغتياله عام ١٩٦٨ بخصوص ممارسة الكراهية "إن الكراهية تشل الحياة... تشوش الحياة... وتعتّم الحياة".

وطبقا للقانون الفيدرالي الأمريكي فــان تعريــف جريمــة الكراهية هو (التحيز الذي ينفذ بطريقة مباشرة ومؤذية ضد شــخص

أو ممتلكات يختارها المعتدي عن قصد، بناء على العرق أو اللون أو العقيدة أو الأصل القومي أو العرقي أو الجنس (ذكـــر أم أنثـــى) أو الإعاقة أو التوجه الجنسي).

وفي ٢٨ أكتوبر ٢٠٠٩ وقّع الرئيس الأمريكي باراك أوبامـــا علـــى قانون ماثيو شبرد وجيمس بيرد الابن لمنع جرائم الكراهيـــة، واســـم القانون يُنسب جزئيا إلى جيمس بيرد الابن، وهو أمريكي من أصـــل أفريقي تعرض في العام ١٩٩٨ للسحل حتى الموت علـــى مـــسافة ثلاثة أميال من طريق في ريف ولاية تكساس بسبب لونه الأسود.

وهنا يطرح سؤال هام ألا وهو متى يضطر الإنسان إلى كراهية الآخر؟

كلمة إنسان في كلام العرب يرجع إلى معنى الظهور، عكس الجن. ثم إنهم ذكروا للإنسان معنى آخر هو: النسيان. فقد أورد ابن منظور عن ابن عباس قوله: "إنما سمي الإنسان إنسانا؛ لأنه عهد إليه فنسي"، كما في قوله تعالى: "ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما".

وبهذا قال الكوفيون: إنه مشتق من النسيان. لذا فإن معنى الإنسان في كلام العرب يعني الظهور، والنسيان. ومعرفة هذه النتيجة لها دور مهم، في تحديد ما يجب أن يكون الإنسان عليه، فما دام أن الظهور أصل معناه، فيفترض به أن يكون الظهور سمته البارزة، فيحقق هذا المعنى في: نفسه، وطريقته؛ وحياته. فيكون ظاهرا في: مبادئه، وقيمه، وأخلاقه، ودينه الذي يؤمن به، فلا يستخفي، ولا يتوارى، كما يتوارى الجن.

وبعضهم عرفه بأنه كائن عاقل، ولكنه لا يختص بالعقل دون الكائنات الأخرى. ومن الوجهة الدينية، يمكن تعريفه بأنه: المكلف المعلم المستخلف.

فالإنسان كائن حي يختلف تعريفه البيولوجي عن التعريف العقائدي أو الثقافي. فبيولوجياً، يعّرف الإنسان بالثديّ المالك لعقل متطور عن سائر المخلوقات، وعقائدياً: فهو تلك الروح الكامنة داخل هذا الجسد وتتحكم الروح بأفعال وتصرفات الإنسان.

فالإنسان هو منظومة من حاجات متنوعة ومترابطة، يمكن تحديد أهمها بالآتي: الحاجات الأساسيّة للإنسان، كما رتّبها العالم ماسلو:

١- الحاجات الفسيولوجية (الطعام... الغرائز.. الدواء.... إلخ).

٢- الحاجة إلى الأمن. ٣- الحاجة إلى الانتماء.

٤- الحاجة إلى التقدير والاحترام. ٥- الحاجة إلى المعلومات.

٦- الحاجة إلى الفهم. ٧- الحاجة إلى الجمال.[6]

٨- الحاجة إلى تحقيق الذات.[7]

فإذا حّرم الإنسان أو أحبط أو منع أو حيل بينه وبين تحقيقه لهذه الحاجات المشروعة، وشعر أن الآخر (فرد، جماعة، طائفة، حزب،

---

[6] دكتور أحمد ماهر: السلوك التنظيمي، ص ١٣. والأستاذ الدكتور مدني عبد القادر علاقي: إدارة الموارد البشرية، ص ٢٦.

[7] الدكتور سالم بن سعيد القحطاني: القيادة الإدارية التحول نحو نموذج القيادي العالمي، ص ٥٦. والعميد الدكتور سعيد بن محمد الغامدي: القيادة الإدارية التحول نحو نموذج القيادي العالمي، العدد (٢٣)، من مجلة البحوث الأمنية، ذو الحجة ١٤٢٣هـ.

سلطة، حكومة،...) كان هو المسئول، اضطر إلى أن يكره من كان هو السبب.

أما الظروف التي تساعد على التعبير عن الكراهية بين الجماعات أو تكبحه، فتتعلق بالآتي:

١- طبيعة السلطة وسيادة القانون.

٢- سيكولوجية أطراف الكراهية.

٣- النتائج الناجمة عن مواقف الكراهية.

٤- جماعات التحريض على الكراهية.

فحين تكون السلطة دكتاتورية أو قاسية في ظلمها، ويكون القانون سائداً، وحكومة السلطة قابضة على النظام بيد محكمه، فإن الناس المقهورين أو المظلومين يكبتون كرههم نحو السلطة بدافع الخوف منها.

ويحصل أن الكراهية بين الجماعات في المجتمع الذي تحكمه سلطة دكتاتورية ظالمة، تتراجع أو تدخل في دورة "سبات" لأن هذه الجماعات، برغم اختلافها في الدين أو القومية أو المذهب..، توحدها الكراهية نحو السلطة الظالمة التي تحكمهم.

وحين تكون السلطة ديمقراطية وقوية في تطبيقها للقانون وسيادة النظام، فأنه يجري التعبير عن الكراهية بين الجماعات ولكن بوسائل سلمية في الغالب (مظاهرات، ندوات، مقالات في صحف، أحاديث في الإذاعة والتلفزيون).

أما إذا تضاءلت هيبة السلطة وكانت ضعيفة في تطبيق القانون وفرض النظام، فأنه يجري التعبير عن الكراهية بين الجماعات بأساليب العنف والعدوان.

وفيما يخص سيكولوجية طرفي أو أطراف الكراهية، فقد اشرنا إلى أن لانفعال الكراهية مكونين معرفي "عقلي" وحضاري. اجتماعي، بمعنى انه كلما زاد الوعي والتفكير بعواقب الأمور بعقلانية وواقعية زادت سيطرة العقل على التحكم بانفعال الكراهية، والعكس صحيح، ولهذا يتعطل دور العقل في التحكم بانفعال الكراهية بين الفئات الاجتماعية التي يكون فيها مستوى الوعي متدنياً، ومستواها الحضاري واطئاً أو معدوماً.

وفيما يتعلق بالنتائج الناجمة عن مواقف الكراهية، فان المواقف إذا تحولت بين أطراف الكراهية إلى عدوان ينجم عنه ضحايا، تطور العدوان إلى عنف يشيع بين "رعاع" جماعات الكراهية بعدوى نفسية تأخذ أسلوب العنف العشوائي.

أما جهات التحريض على الكراهية من خارج الأطراف المتصارعة، فأنها - لأسباب تتعلق بانتماءات عقائدية أو عشائرية.. أو لمصالح اقتصادية وسياسية - تعمل على تحريض الجماعة التي تنتصر لها وتظهرها كما لو كانت مظلومة أو مستلب حقها أو متجاوز عليها حتى لو كانت الحقائق لا تؤيد ذلك.[8]

---

[8] الأستاذ الدكتور قاسم حسين صالح: الكراهية والمواطنة - مدخل لثقافة المصالحة، جريدة الصباح، العـــدد (١٩٥١) الاثنين ٣ أيار ٢٠١٠.

الكراهية والدين

والكراهية، دينياً، التي نتلقاها هي ما يقع في ذهن العامة أن الله ينادي أخرج بعث النار يا آدم فيخرج من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين رجلاً إلى النار وواحداً إلى الجنة، أتعتقد عزيزي القارئ أن ثقافة كهذه عندما تشيع في المجتمع ستنشر الريبة وسوء الظن، وأنا من حيث أريد أو لا أريد أدفع هذا الجيل أن يبقى ممسكاً بالزناد، وأن الآخر ليس إلا مشروع حطب جهنم، ولكن ثقافة الإسلام تختلف عن ذلك، واسم الله الرحمن الرحيم في كل سورة في القرآن الكريم ومع أن سورة التوبة وهي سورة غضبٍ وتهديدٍ ووعيد للمشركين نصت على ذلك ولكنها جاءت لبيان رحمات الله في أكثر من عشرين آية، إن الإسلام رسالة رحمة وحب.

علينا أن ندرك أن الله قال: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[9] قال ﷺ: لما نزلت الآية ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[10] تسوّف كل ذي نفسٍ منفوسة وارتفعت الجبال والبحار والأنهار وكلها يقول نحن شيء حتى وثب الشيطان وقال: يا رب أنا شيء فلتسعني رحمتك يا رب، قال: فأنزل الله: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾.[11]

---

[9] سورة الزمر ٥٣.

[10] سورة الأعراف ١٥٦.

[11] سورة الأعراف ١٥٦.

ومن المسائل التي نتداولها دوماً ونحن لا ندري أنها تنشر ثقافة الكراهية مفهوم البغض في الله ونسمع من علماء هذه الأمة الحديثة إلا عن الحب في الله، حين كنا في مجالس الذكر والهدى والنور كنا نستمع خطاب الحب في الله لأن اجتماعنا على الله هو سبب لحب بعضنا ولحب الخلق جميعاً ولكننا نسمع اليوم في خطاب الإسلام السياسي أو في خطاب أولئك الذين يريدون أن يجيشوا الناس ليقتل بعضهم بعضاً، ثقافة البغض في الله، وإن من أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله وتبغض في الله، والحق أن البغض في الله هو بغضٌ للأعمال الشريرة وليس للإنسان أي إنسان، إن شأن المؤمن أن يحب في الله من وافقه ومن خالفه، أنسيتم أن الله قال للنبي ﷺ: ﴿هَاأَنتُمْ أُوْلاء (في علاقتكم مع المنافقين) تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾ لقد كان يحبهم على الرغم من أنهم كانوا لا يحبونه، وحين قال له الله عز وجل: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء﴾[١٢] كان يتكلم عن رجل لم يكن يؤمن بالله ولكن النبي كان يحبه، وإن قلب المؤمن أصلاً لا يتسع إلا للحب وأما البغض في الله فهو بغض الأعمال، ألا ترى أن سيدنا لوط قال لقومه: ﴿إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ﴾[١٣] أي من المبغضين.

إنهم يصدرون بياناتهم اليوم بعد الذبح بقولهم قال رسول الله: (جئتكم بالذبح وأنا الذباح الرحيم) وكأننا نواب الله على الأرض

---

[12] سورة القصص ٥٦.

[13] سورة الشعراء ١٦٨.

نحاكم الناس على ما يفعلون ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.[14]

أما النبي ﷺ فقد تسامى فوق ذلك كله ومع أنه يدرك أن الله يطلع شمسه على الأبرار والأشرار وينزل غياثه على الصالحين والصالحات ولأنه يعلم أن الله يرزق من عباده الحمامة والأفعى وإن الله يسقي من عباده العقرب وإنه بعباده جميعاً ودود رحيم وإنه قال: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [15] لقد تعهد بتكفير الصغائر وقال ﷺ: (وجبت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) إننا أمام نبي لا يشبه في شيء هذه الوجوه الغاضبة التي ترتدي القمصان السود وتبدو منها عيون شريرة وتضع فوهة البندقية على رأس أخيه الإنسان، ثم تسمي ذلك جهاداً في سبيل الله، كيف يمكن أن نصدق أن هذا ينتمي إلى النبي محمد، كيف يمكن أن نصدق أن هؤلاء يشرحون رسالة النبي ﷺ للعالم لماذا تلومون الرسام الدنمركي، إنه محض رسام، ولكن نحن من أخرج القصة.... نحن من كتبها.... ونحن من ألفها.... نحن من وزعها للعالم..... وهم الذين أعادوا إنتاجها حتى يُقال أن الإسلام رسالة إرهاب.

فإن الكراهية هي سرطان نفسي يفتك بالمجتمع ويدفع به إلى الفوضى والانفلات والتمهيد للآخرين للتحكم فيه والسيطرة عليه.

---

[14] سورة الزمر ٤٦.

[15] سورة النساء ٣١.

فتوظيف قدسية الدين لتبرير الكراهية ضد الآخر تجعل الكراهية نفسها حالة مقدسة تستبد بالإنسان وتسيطر عليه شعورياً ونفسياً، فلا يتكلم إلا سباً وشتماً وتقريعاً، ولا يخطب إلا وتجده يهدد ويتوعد بالويل لمخالفيه منه ومن جماعته، ولا يكتب إلا إلى ما يدعو إلى الفتنة وتسقيط الآخرين، والتشكيك في معتقدات وقناعات المخالفين له، ولا يبحث ويدقق إلا من أجل الوصول إلى ما يدعم رأيه ويعزز من قناعاته الذاتية والمتوارثة في كراهية الآخرين والأخطر من كل ذلك أنه قد يستغفل المجتمع ويوهمه بأن كراهيته هي كراهية سلمية، ولا يريد بها ممارسة العنف ضد من يخالفونه في الرأي، ولكنه يعلم قبل غيره أنه ليست هناك كراهية سلمية، وأن إعلان الكراهية ضد الشخص أو الفئة المخالفة له في الرأي والاجتهاد هو إعلان حرب ودعوة لمريديه بممارسة العنف ضدهم. فإعلان الكراهية هو ارتقاء لأول درجة في سلم العنف، لأن الكراهية هي رفض وعدم قبول لذلك الآخر، وحالة الرفض وعدم القبول لا تنتج بطبيعتها علاقة متسالمة مع الآخرين، فالنفوس التي أعلنت الكراهية والنفوس التي هي ضحية لعدوان هذه الكراهية المعلنة هي كلها تعيش أجواء محتقنة ومتوترة وقابلة للاشتعال في أية لحظة.

وإذا كانت الكراهية في المطلق مرفوضة وغير مقبولة، فإن الحذر من الكراهية الدينية هو من الضرورات الاجتماعية، لأن السماح لها والتسامح معها هو جناية بحق المجتمع.

فالمجتمع الذي يعيش الكراهية الدينية المعلنة هو مجتمع مشطور على نفسه وحالة الانشطار هذه تشهد على خطورتها سوء

وفظاعات والحالة المزرية للشعوب التي تعيش الانقسام الديني والمذهبي، فأشد أنواع الحروب هي الحروب الدينية وأفظع صور الاقتتال هو الذي يحدث باسم الدين والمعتقد، وأقذر الحروب الكلامية هي التي تشن بتبريرات الدفاع عن الدين والمعتقد، وأفسد النقاشات هي التي يراد بها الغزو الديني والمذهبي، وأعقم الحوارات هي تلك التي تقام والنفوس تكره بعضها بعضاً ولا تريد الخير لمن يتحاور معها.

كل ما يُقال من سلبية عن الكراهية الدينية، وكل ما يكتب عما تحدثه من فتن وبلاءات اجتماعية هو حق وليست فيه مبالغة، فهناك عدة أسباب تجعل الكراهية الدينية بهذا الحجم من الأثر السلبي على المجتمع، فمن هذه العوامل التي يمكن ذكرها وباختصار هي:

الأول: ما تفعله الكراهية في النفس الإنسانية هو تعطيل للقوى الإنسانية ومحاصرة لمنابع ومصادر الخير والرحمة عند الإنسان، وإذا كانت الكراهية على درجات في قوتها وشدتها فإن للكراهية الدينية الأعلى من تلك الدرجات، فالدين هو شأن مقدس بل هو أقدس المقدسات، وبالتالي فالاعتقاد خطأً بأن الدين هو مَن يدعو إلى هذه الكراهية يجعل لهذه الكراهية حالة من القداسة تجعلها في صلب المعتقد ومن أولى أوليات الدين ومن ضروريات المذهب، وهنا تكمن الخطورة وتفعل الكراهية فعلتها في تحطيم كيان المجتمع.

فالمجتمع المريض نفسياً بداء الكراهية الدينية هو مجتمع غير طبيعي أي مجنون، والجنون هي حالة عبث وفوضى متواصلة ومستمرة.

الثاني: إن الكراهية تعني الطرد والإقصاء لوجود ذلك الإنسان المكروه في داخل النفس الكارهة، والحب هو العكس لأن فيه تعزيزا لمكانة ووجود ذلك المحبوب في نفس الإنسان المحب.

والكراهية هي حالة طفيلية على النفس الإنسانية وتغذيها ثقافة ذلك الإنسان والمجتمع، وكلما كانت هذه الثقافة مشبعة بقيم وقناعات تدعو إلى الكراهية، فإن هذه الكراهية تتضخم ويزداد حجمها وتستولي على النفس، وينتقل الطرد والإقصاء من حالة نفسية داخلية إلى ممارسة فعلية في الواقع. ولما كان الدين هو الذي يشكل معظم ثقافتنا العربية فإن الكراهية الدينية والتي نتحمل وزرها نحن كمجتمع وكثقافة وليس الدين هي من أشد المواضيع خطورة، ويجب أن نعالج بخطوات جريئة تنقي الدين من قراءاتنا الخاطئة وتحفظ لثقافتنا دورها الإيجابي في تعزيز المحبة والسلام في مجتمعاتنا.

الثالث: إن الكراهية ما سبقت شيئا جيدا إلا عطلته وما صاحبت شيئا خيرا وحسنا إلا أفسدته، ولما كانت مشاكلنا الاجتماعية هي في معظمها لها أساس ديني أو مذهبي أو طائفي، وهذا الحال أسهم وبشكل كبير في تعطيل الحراك التنموي في مجتمعاتنا، وأنتج لنا أجواء ومناخات تساعد على انتشار الممارسات الفاسدة في حياتنا، فإن الاجتهاد في سد باب الكراهية الدينية على المستوى التربوي والتعليمي والإعلامي هو من أجل إنقاذ مجتمعاتنا، وعلينا أن نضعها على أعلى سلم أولوياتنا الإصلاحية، فلن تنجح الجهود لإصلاح مجتمعاتنا ما لم نهزم الكراهية الدينية ونطردها من ثقافتنا العربية.

ترياق الكراهية

إذا كانت الكراهية سجن وضعف وانهزام وسلبية مدمِّرة، فهل من ترياقٍ لها؟ «المحبة قوية كالموت»،[١٦] وهي «تكميل الناموس».[١٧] هي تُسقِط الحواجز بين البشر وتجعل الجميع إخوة وأقرباء.

١- المحبة المسيحية ضد الانكفاء على الذات والتعصُّب والانحياز والطائفية والعنصرية وحصر المُحِب في دائرة المنتمين إلينا أو ما ننتمي إليه (العائلة، الدين، البلد)، وهي في اتساعها تفترض الاتجاه نحو الآخر: خدمته وإعطاؤه لا الاستفادة منه أو الأخذ منه أو اشتهاء ما يملكه. هي مع احترام الآخر المختلف وضد استبعاده أو تهميشه أو كراهيته أو الحطّ من شأنه أو من عقيدته.

ورغم قول السيد المسيح إنه لم يُرسَل إلاَّ إلى خراف بيت إسرائيل الضالة،[١٨] وأوصى تلاميذه أيضاً أنٍ يبدأوا بهم كرازتهم؛[١٩] إلاَّ أنه منح قلبه للغرباء عن إسرائيل دون تحفظ. فامتدح إيمان المرأة الكنعانية،[٢٠] وعن قائد المئة الروماني قال: «لم أجد ولا في إسرائيل إيماناً بمقدار هذا».[٢١] وفي ختام مَثَل السامري الذي اعتنى باليهودي الجريح، قال الرب لكلٍّ منا: «اذهب أنت أيضاً واصنع هكذا».[٢٢] والقديس بولس يؤكد نفس المعنى في أكثر من موضع: «لا يطلب

16 سفر نشيد الإنشاد ٨: ٦.

17 الرسالة إلى أهل رومية ١٣: ١٠.

18 الإنجيل بحسب ما دونه القديس متى ١٥: ٢٤.

19 الإنجيل بحسب ما دونه القديس متى ١٠: ٦.

20 الإنجيل بحسب ما دونه القديس متى ١٥: ٢٨.

21 الإنجيل بحسب ما دونه القديس لوقا ٧: ٩.

22 الإنجيل بحسب ما دونه القديس لوقا ١٠: ٣٧.

أحد ما هو لنفسه، بل كل واحد ما هو للآخر (أيضاً)»،[٢٣] ويطالبنا أن نؤْثِر الآخرين على أنفسنا: «مُقدِّمين بعضكم بعضاً في الكرامة»،[٢٤] ويقول عن نفسه: «صرتُ للكل كل شيء، لأُخلِّص على كل حال قوماً».[٢٥]

بين الآخرين هناك توجيه للاهتمام بالعائلة: «إن كان أحد لا يعتني بخاصته، ولا سيما أهل بيته، فقد أنكر الإيمان، وهو شرٌّ من غير المؤمن»،[٢٦] كما أن خدمة الوطن هي في قمة واجبات المؤمن والتي تتبدَّى فيها أمانته ومحبته ومشاركته في كل الظروف والهموم، فضلاً عن طاعة قوانينه والعمل من أجل المصلحة العامة. على أن هناك تحذيراً من الاندماج مع الأشرار دون أن يعني ذلك بالطبع عدم الاهتمام بخلاصهم وتبشيرهم: «لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين»،[٢٧] «المعاشرات الرديَّة تُفسِد الأخلاق الجيدة».[٢٨]

٢- الغفران والتسامح وعدم الانتقام، هو حجر الأساس في بنيان العلاقات الإنسانية: بين الزوجين وأفراد العائلة والأصدقاء والجيران وعابري السبيل. وهذا هو القانون المسيحي الصريح: «لا تدينوا فلا تُدانوا... اغفروا يُغفر لكم»،[٢٩] «لا تنتقموا لأنفسكم»،[٣٠] «لا تغرب

---

[23] رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس ١٠: ٢٤، رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل فيلبي ٢: ٤.

[24] رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ١٢: ١٠.

[25] رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس ٩: ٢٢.

[26] رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل تسالونيكي ٥: ٨.

[27] الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس ٦: ١٤.

[28] رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس ١٥: ٣٣.

[29] الإنجيل بحسب ما دونه القديس لوقا ٦: ٣٧.

الشمس على غيظكم»،[31] «محتملين بعضكم بعضاً، ومسامحين بعضكم بعضاً... كما غفر لكم المسيح، هكذا أنتم أيضاً»،[32] «إن لم تغفروا للناس زلاّتهم، لا يغفر لكم أبــوكم أيضاً زلاّتكم».[33]

الغفران والتسامح واحتمال الآخر قوة ننالها من الأعالي، تُوقف تيار البغضة وتحطم الخصومة والعداء، وتتيح التواصُل وعودة المحبة؛ بينما الغيظ والميل للانتقام وامتلاء القلب بالضغينة (كما سلك قايين)، ضعف وسلبية وخضوع لأدنى ما في الإنسان الطبيعي وعلامة انفصال عن روح الله.

٣- المبادرة والمبادأة: هكذا كانت وصية المسيح الشهيرة في موعظته على الجبل: «فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم، افعلوا هكذا أنتم أيضاً بهم، لأن هذا هو الناموس والأنبياء»،[34] وهي تُحمّل المؤمن مسئولية أن يبدأ بنفسه لتغيير العالم والالتقاء بالآخر: «إن أخطأ إليك أخوك فاذهب (أنت) وعاتبه»،[35] وألاّ ينشغل بعيوب الآخرين عن عيوبه هو: «أخرج أولاً الخشبة من عينك، وحينئذ تبصر جيداً أن تُخرج القذى من عين أخيك»،[36] أي ابدأ بتغيير نفسك لكي تستطيع تغيير الآخر، وأدِّ واجبك قبل أن تُطالِب بحقوقك، وأعطِ

---

30 رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ١٢: ١٩.

31 رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس ٤: ٢٦.

32 رسالة بولس الرسول إلى أهل كولوسي ٣: ١٣.

33 الإنجيل بحسب ما دونه القديس متى ٦: ١٥.

34 الإنجيل بحسب ما دونه القديس متى ٧: ١٢، والإنجيل بحسب ما دونه القديس لوقا ٦: ٣١.

35 الإنجيل بحسب ما دونه القديس متى ١٨: ١٥.

36 الإنجيل بحسب ما دونه القديس متى ٧: ٥.

قبل أن تأخذ! وأعطِ فقط وسوف تأخذ يوماً: «ارمِ خبزك على وجه المياه، فإنك تَجده بعد أيام كثيرة».[٣٧]

٤- التشجيع والمساندة: العين البسيطة عينٌ مُحِبَّة لا تقف عند العيوب، وإنما تتجاوزها إلى ما يستحق الإشادة، خاصة بالنسبة للمبتدئين وصغيري القلوب والبسطاء والمتعثرين. العين الشريرة تتجاهل الإيجابيات ولا تلتقط إلاّ المثالب، وتنتقد وتُشهِّر وتسخر ولا تبالي إن أثارت الإحباط أو بعثت اليأس. الوصية المسيحية مع التشجيع والموازرة وإنهاض النفوس الكسيرة وإشاعة الرجاء في اليائسين.

والنموذج الفريد الذي قَدّمه السيد المسيح لكل العالم عن نبذ العنف والحقد والكراهية، وذلك في لقاءه الشهير مع المرأة السامرية عند بئر يعقوب. ونظرة إلى هذا اللقاء الذي اتسم بمعاني إنسانية فريدة نسجها السيد المسيح في هذا اللقاء، فبرغم الحالة السياسية والتي اتسمت بالعداء بين السامريين واليهود والنزاع التاريخي الذي كان بين الطرفين إلا أنه لم ينظر إلى كل هذه الحواجز بل نظر إليها أنها إنسانة تستحق الخلاص مثل باقي البشر، فقام بالسير إليها مسيرة ستة ساعات في وضح النهار وتحت أشعة الشمس الحارقة وبعد أن وصل إلى مكان اللقاء وبدون علم المرأة السامرية، وعند بئر يعقوب كان الحوار الذي يضرب لنا مثال عن كيفية كسب النفس التي أمامك واختراقها لا بشيء سوى بإشعاعات الحب الصادرة من قلب المسيح الذي ينبض حناناً نحو كل البشر كان بداية الحديث هو إعلان احتياجه إليها أن تعطيه ليشرب فكانت المرأة في غاية الاستغراب

---

[37] سفر الجامعة ١١: ١.

وأعلنت ذلك كيف تطلب مني لتشرب وأنت يهودي وأنا سامرية؟ ومن هنا كانت البداية، وفن الحوار الذي هو أحد دروس هذه القصة، فبرغم ماضيها المشوّه وحياتها التي كانت تعيشها في الدنس إلا أن المسيح لم ينظر إلى عيوبها بل نظر إلى الايجابيات في حياتها ولم يوبخها بل تحنن، ومع بداية حديثه معها يجيبها بالصواب أجبتي ويمتدح صراحتها بعد أن كشف لها بواطن أمور في حياتها وخفاياها التي لا يعلمها سوى الله كاشف الأعماق والتي عيناه تخترقان أستار الظلام، وبدل من أن تعطيه هي ليشرب من البئر كشف لها المسيح عن بئر الخلاص الذي يمتلكه والذي لا ينضب أبداً لأنه يمتلك ماء الحياة الأبدية، وكسر المسيح كل حواجز التعصب بين البشر وبين السامريين واليهود بالتحديد وتحولت المرأة من خاطئة لمُبشّرة تنادي في مدينتها تعالوا انظروا إنساناً قال لي كل ما فعلت وهنا تم المقصود ونجح المسيح في غايته من هذا اللقاء وهو الخلاص المجاني والمصالحة بين البشر بعد أن ضرب لكل البشر مثالاً حيّاً عن نبذ العنف والحقد والكراهية وترك كل جوانب النزاع بين الحُكّام والأوطان وليتعامل البشر مع بعضهم بالحب بدون النظر إلى الجنس أو اللون أو العرق أو المعتقد، يكفي أن لنا أب واحد وأم واحدة هما حواء وآدم.

ليت رسالة الحب التي قدّمها المسيح في هذه القصة تكون منهج ودستور يسير البشر عليه حتى نتخلص من الأحقاد والنزاعات والخصومات ليحيا العالم في سلام وأمان.

البابا يدعو في الناصرة إلى نبذ "الكراهية" ويحث المسيحيين على عدم الهجرة في احتفال حضره ٤٠ ألفا من أبناء الجليل

دعا البابا بنديكتوس السادس عشر إلى نبذ "الكراهية والأحكام المسبقة" وإلى تعايش سلمي بين المسلمين والمسيحيين في الناصرة، كما دعا المسيحيين إلى عدم الهجرة، خلال احتفال ديني أحياه في هذه المدينة الفلسطينية الجليلية المحتلة والبالغ عدد سكانها ستين ألف نسمة ٣٠% منهم مسيحيون.

وقال بنديكتوس السادس عشر مخاطباً ما يزيد على أربعين ألفاً تجمعوا في مدرج شيد في الهواء الطلق على جبل القفزة في الناصرة "لينبذ كل واحد القدرة المدمرة للكراهية والأحكام المسبقة التي تقتل النفس البشرية قبل الجسد ."

وتابع قائلاً "للأسف، كما يعلم العالم، اختبرت الناصرة توترات في السنوات الأخيرة أضرت بالعلاقات بين الجماعتين المسلمة والمسيحية".

وقال "أدعو الأشخاص ذوي الإرادة الطيبة في كلا الجماعتين المسلمة والمسيحية إلى تصحيح الضرر الذي حصل والعمل لبناء الجسور وإيجاد طرق لتعايش سلمي".

وشهدت الناصرة توتراً عام ١٩٩٩ وصلت أصداؤه إلى الفاتيكان، حول مشروع لبناء مسجد في الساحة المجاورة لكنيسة البشارة. وبعدما أصدرت الحكومة الإسرائيلية ترخيصاً لبنائه عادت وأمرت عام ٢٠٠٢ م بوقف الأشغال وأزيلت أساسات البناء عام ٢٠٠٣ م بأمر من محكمة إسرائيلية.

كما دعي البابا مسيحيي فلسطين إلى عدم الهجرة والتحلي بالشجاعة والبقاء في أراضيهم، وذلك رغم ظروف الحياة الصعبة جراء الاحتلال الصهيوني[38].

فالحب "قدس أقداس" الحياة في كل صورها، وهيكله يمتد بامتداد البسيطة ويعلو حتى عنان السماء. ومن يريد أن يكتب عنه عليه أن "يخلع نعليه" هيبة وتقديساً، وينحني على ركبتيه ويرفع عينيه صوب السماء ابتهالاً لعلها تلهمه بجديد عنه.

فما قيل وكتب عنه منذ بدء الخليقة، نثراً وشعراً، وقصصاً وأساطير، وأمثولات، يفوق الوصف والحصر، وإن كان أعظمها وأجلها هو أن "الله محبة"، الأمر الذي يجعل هيكله يرتفع إلى عمق السماء حيث العرش الإلهي. ويجعل منه نبع الفضائل الذي لا يغيض، ومصدر النور السرمدي الذي لن يخبو أبداً.

وحده الذي يحب صادقاً عفيفاً قد عرف الله وولد منه. ووحده الذي يثبت في المحبة يثبت في الله والله فيه. ووحده الذي يؤمن بالمحبة يعرف قوتها التي شبهها سليمان الحكيم بقوة الموت ذاته. لا تستطيع المياه الكثيرة أن تطفئها ولا السيول الغامرة أن تغمرها. وإن أعطى الإنسان كل ثروة بيته بديلاً عنها تحتقر احتقاراً![٣٩]

---

[38] جريدة الرياض ٩ / ٥/ ٢٠٠٩ م.

[39] الأستاذ الدكتور أنطون يعقوب ميخائيل والدكتور جمال محمد أبو زيد: الحب، سلسلة الفضائل، دار ومكتبة الحرية، القاهرة، ٢٠٠٩، ج ٢، ص ١٢.

الحـــــب

حدث في الصين منذ وقت طويل أن تزوجت فتاة اسمها هان وذهبت لتعيش مع زوجها ووالدته (حماتها) وبعد وقت قصير اكتشفت هان أنها لا تستطيع أن تتعامل مع حماتها، فقد كانت شخصياتهما متضادة تماما، وكانت عادات كثيرة من عادات حماتها تثير غضبها علاوة على أن حماتها كانت دائمة الانتقاض لها توالت الأيام، والأسابيع ولم تتوقف هان وحماتها عن المجادلات والخناقات، ولكن ما جعل الأمور أسوأ أنه طبقا للتقاليد الصينية القديمة، كان على هان أن تركع وتنحني أمام حماتها وأن تلبى لها كل رغباتها وكان الغضب وعدم السعادة اللذان يملآن المنزل يسببان إجهاداً شديداً وتعاسة للزوج المسكين.

أخيراً لم يعد في استطاعة هان أن تتحمل أكثر من طباع حماتها السيئة ودكتاتوريتها وسيطرتها، وهناك قررت أن تفعل شيء حيال ذلك فذهبت هان لمقابلة صديق والدها الصيدلاني هوانج وكان بائعاً للأعشاب شرحت هان له الموقف وسألته لو كان في إمكانه أن يمدها ببعض الأعشاب السامة حتى يمكنها أن تحل مشكلتها الى الأبد مع حماتها.. فكر الصيدلاني هوانج في الأمر للحظات وأخيرا قال لها: "هان أنا سأساعدك في حل مشكلتك، ولكن عليك أن تصغي لي وتطيعي ما سأقوله لك"

أجابت هان قائلة: نعم يا سيد هوانج أنا سأفعل أي شيء تقوله لي انسحب هوانج للغرفة الخلفية ثم عاد بعد بضعة دقائق ومعه لفافة من الأعشاب وقال لها: هان ليس في وسعك أن تستخدمي سما سريع المفعول كي تتخلصي من حماتك، وإلا ثارت حولك الشكوك، ولذلك سأعطيك عدداً من الأعشاب التي ستعمل تدريجياً

وببطء في جسمها، وعليك أن تجهزي لها كل يومين طعاماً من الدجاج أو اللحم وتضعي به قليل من هذه الأعشاب في طبقها، وحتى تكوني متأكدة أنه لن يشك فيك أحد عند موتها، عليك أن تكوني حريصة جداً .. وأن تكون تصرفاتك تجاهها رقيقة وودية، وألا ستتشاجري معها أبداً، وعليك أيضا أن تطيعي كل رغباتها وأن تعامليها كما لو كانت ملكة.

سعدت هان بهذا وأسرعت للمنزل كي تبدأ في تنفيذ مؤامرتها لتتمكن من اغتيال حماتها.. مضت أسابيع ثم توالت الشهور وكل يومان تعد هان الطعام لحماتها وتضع بعض من الأعشاب في طبقها.. وتذكرت دائما ما قاله لها السيد هوانج عن تجنب الاشتباه، فتحكمت في طباعها وأطاعت حماتها وعاملتها كما لو كانت أمها.

بعد ٦ شهور تغير جو البيت تماماً، مارست هان تحكمها في طباعها بقوة وإصرار، حتى أنها وجدت نفسها غالباً ما لا تفقد أعصابها حتى حافة الجنون أو حتى تضطرب كما كانت من قبل.. ولم تدخل في جدال مع حماتها، التي بدت الآن أكثر طيبة وبدا التوافق معها أسهل.

تغير اتجاه الحماة من جهة هان وبدأت تحبها كما لو كانت ابنتها، واستمرت تذكر للأصدقاء والأقرباء أن هان هي أفضل زوجة ابن يمكن لأحد أن يجدها.

وأصبحت هان وحماتها الآن يعاملان بعضهما كما لو كانتا بنتاً ووالدتها.. وأصبح زوج هان سعيداً بما قد حدث من تغيير في البيت وهو يرى ويلاحظ ما يحدث.

وفي أحد الأيام ذهبت هان مرة أخرى لصديق والدها السيد هوانج وقالت له: "عزيزي سيد هوانج، من فضلك ساعدني هذه المرة في منع السم من قتل حماتي، فقد تغيرت إلى امرأة لطيفة وأنا أحبها الآن مثل أمي، ولا أريدها أن تموت بسبب السم الذي أعطيته لها ابتسم السيد هوانج وهز رأسه وقال لها: "**أنا لم أعطيك سما على الإطلاق**"

لقد كانت الأعشاب التي أعطيتها لك عبارة عن فيتامينات لتحسين صحتها.

والسم الوحيد كان في عقلك أنت وفي اتجاهاتك من نحوها
ولكن كل هذا قد غسل الآن بواسطة الحب الذي أصبحت تكنينه لها.
هل أدركت يا أخي/ أختي أنك كما تعامل الآخرين سيعاملونك هم !!!

يقول العالم كيبلينج: "لا حدود، لا قومية، لا أصل يُبقي لها قيمة عندما شخصان يتقابلان". فالوجود الإنساني يتحقق من خلال تلاقيه مع غيره من الأشخاص، لا من تعامله مع مجموعة من الأشياء .. ومعنى هذا أن "الذات" لا تصل إلى مرحلة "الأنا" الحقيقية إلا حينما تلاقي ذلك "الآخر" الذي تستطيع أن تخاطبه بلفظ "أنت". فحب الآخر يختلف عن الاحترام والتقدير والإعجاب، لغة الحب لا تعرف "من أجل"، و"بسبب" و"بغية"، بل هي لغة إطلاق لا موضوع فيها للتعليل أو التخصيص أو الوصف. وبهذا المعني يمكن القول بأن الحب حقيقة شاملة مطلقة إستعابية لا تقبل القسمة! ونحن لا نحب الآخر لأنه هذا أو ذاك، بل لأنه "الآخر"! وبعبارة أخري، ليس "الآخر" هو علة الحب، بل أن الحب هو في حد ذاته، وبطريقة

مباشرة، حاجة إلى الآخر، وتجربة حية يختبر فيها هذا التلاقي الوجودي مع الآخر.

إن شئت أن تحب، فلا تعتبر نفسك محور العالم، ولا تتخذ غيرك وسيلة لإرضاء رغباتك ووثباتك وأنانيتك وميولك ومنافعك الشخصية. ليس الآخر أداة، صنفاً أو نمطاً. الآخر نسيج فريد من نوعه. الآخر ليس "إناساً" بل بشراً. الآخر شخص وعين، هو حسين، سمير، علي، ماجدة ... اكتشف الآخر المقدس ولا تسمح لنفسك ولا لأي شخص يمس كرامة الآخر.

ماذا لو أخذ الناس بالقول المأثور: "أعقل الناس أعذرهم للناس"؟ ماذا لو بلغ الناس هذا الأفق الإنساني النبيل؟ هل ستقوم كل هذه الحروب وتقع كل هذه المآسي، وتراق كل هذه الدماء، وتجري أنهار من الدموع، لو كان الناس أكثر تواداً وتسامحاً، بل لو كانوا أطوع لصوت العقل والقانون والأخلاق؟ إن أكبر العوامل التي حصدت بسببها نفوس، وأريقت دماء وأزهقت أرواح، هو عامل الكراهية على مدى التاريخ، وإن فرسان الكراهية لم يجدوا وقودا أفضل، ولا سلاحاً أقتل من النار التي تشعلها الكراهية وتتغذى بها، أو السلاح الذي تكون الكراهية ذخيرته حتى كاد العالم يزول بها وأوشكت البشرية أن تفنى وتنقرض.

لقد كانت الكراهية هي النار والوقود والسلاح والذخيرة التي فتك بها أو بسببها أعداء البشرية بضحاياهم وأبادوهم؛ أو قهرهم وسلبوا حقوقهم، أقبلوا على ذلك وصنعوه بكل التلذذ والشهوة فيه، والافتخار به والتسابق إليه.

الخاتمـــة

الحضارة الإنسانية ازدهرت وازدهت بالتنوع، والأحادية لم تصنع إلا أفولاً وذبولاً، لذا فكم نحتاج لأن نختلف ونأتلف ولنتيقن أن اللحن الواحد لا يعطي نغماً جميلاً، والعصفور الواحد لا يمكن أن يصنع ربيعاً، والزهرة الواحدة لا يمكن أن تصنع بستاناً!!.

فينبغي للإنسان أن يصدر كل ليلة عفواً عاماً قبل النوم عن كل من أساء إليه طيلة النهار بكلمة أو مقالة أو غيبة أو شتم أو أي نوع من أنواع الأذى.

وبهذه الطريقة سوف يكسب الإنسان الأمن الداخلي والاستقرار النفسي والعفو من الرحمن الرحيم، وطريقة العفو العام عن كل مسيء هي أفضل دواء في العالم. يا من أراد الحياة في أبهج صورها وأبهى حُللِها.

اغسل قلبك بالعفو وعفّره بالغفران، إن تحويل القلب إلى حيّاة للضغينة وعقارب للحقد وأفاعي للحسد أعظم دليل على ضعف الإيمان وضحالة المروءة وسوء التقدير للأمور.

وكما يقول شكسبير: لا توقد في صدرك فرناً لعدوك فتحترق فيه أنت، ما أطيب القلب الأبيض الزلال، ما أسعد صاحبه، ما أهنأ عيشه، ما ألّذ نومه، ما أطهر ضميره، ثم هل في هذا العمر القصير مساحة لتصفية الحسابات مع الخصوم، وتسديد فواتير العداوة مع المخالفين؟

إن العمر أقصر من ذلك، وإن الذي يذهب ليقتصّ من كل من أساء إليه وينتقم من كل من أخطأ عليه سوف يعود بذهاب الأجر، وعظيم الوزر، وضيق الصدر، وكثرة الهم مع قرحة المعدة،

وارتفاع الضغط، وقد يؤدي ذلك إلى جلطة مفاجئة أو نزيف في الدماغ ينقل صاحبه مباشرة إلى العناية المركّزة.

قارئنا العزيز: الحياة جميلة، ألا ترون النهار بوجهه المشرق وشمسه الساطعة وصباحه البهيج وأصيله الفاتن وغروبه الساحر،

لماذا لا تشارك الكون بهجته فتضحك كما تضحك النجوم، وتتفاعل كما تتفاعل الطيور، وتترفق كما يترفق النسيم، وتتلطف كما يتلطف الطّل،

الحياة جميلة إذا أخرجتم منها الشيطان والشر والشك والشتم والشؤم والشماتة، والمشكلة أن بعضنا متشائم تريه وجه الشمس فيشكو حرّها، وتخرج له الزهرة فيريك شوكها، وتشير إلى نجوم الليل فيمتعض من ظلمته، إذاً اقترح عليك أن تصدر الليلة مرسوماً بالعفو عن كل من أساء إليك وبعدها سوف تنام ليلة سعيدة لم يمر بك ليلة أجمل

قال المقنع الكندي:

وَلا أَحمِلُ الحِقدَ القَديمَ عَلَيهِمُ وَلَيسَ كَريمُ القَومِ مَن يَحمِلُ الحِقدا

فلنجعل من قلوبنا قصور للمحبة لا للكراهية.

فالكراهية أشد بلاء من الأمراض التي تصيب الإنسان في بدنه وجسمه، لأنها تصيب الإنسان في نفسه وعقله وقلبه ووجدانه وشعوره، وتمتص منه جمالية القيم، ومكارم الأخلاق، وتطفئ فيه شعلة الضمير، وجذوة الروح، وقبس النور، وصفاء النفس، وتجفف فيه منابع الفيض الإنساني الخلاق، وأنهار المشاعر الإنسانية السيالة في العالم الداخلي للإنسان.

وهذا بخلاف الأمراض التي تصيب بدن الإنسان وجسمه، والتي يمكن لها أن تساهم في يقظة النفس والعقل والقلب والوجدان والشعور.

والكراهية أشد بلاء من الزلازل والأعاصير والبراكين التي تقتلع الأشجار، وتقطع الكهرباء، وتخرب الشوارع والطرقات، وتدمر المساكن والممتلكات، وتزهق النفوس والأرواح، لكنها توحد المشاعر، وتقرب القلوب، وتجلب عون الآخرين وعطفهم. وهذا بخلاف الكراهية التي تفرق المشاعر، وتباعد القلوب، وتجلب العداوات، ونقمة الآخرين وسخطهم.

والكراهية هي أشد بلاء من التلوث المنبعث من عوادم السيارات والطائرات والباخرات في البر والجو والبحر، ومن الأدخنة المنبعثة من المصانع والمعامل، وأشد بلاء من الاحتباس الحراري الناشئ من ارتفاع نسبة الغازات في الجو، وإذا كان التلوث والاحتباس الحراري يؤثران على المناخ الخارجي، وطبقة الغلاف الجوي، ويؤديان إلى ارتفاع الحرارة، ويؤثران على الصحة العامة للناس، فإن الكراهية تنشر تلوثاً أشد بلاء، لأنه يلوث النفوس والقلوب والعقول والمشاعر والوجدان، ويخرب جسور التواصل، والعلاقات بين الناس، وبين الأمم والشعوب.

والكراهية هي أشد بلاء من الوباء، وأكثر هولاً من الحريق، وأعظم تخريباً من السيل، وأخطر وبالاً من الجوع، لأن الكراهية ظلام يعمي الأبصار والقلوب التي في الصدور، وتجعل قلب الإنسان أسود داكناً ينفث العداوة والبغضاء بين الناس.

والكراهية هي بمثابة دخان أسود أشد سواداً من الدخان المنتشر في الهواء، وهي بمثابة رائحة نتنة أشد نتانة من الرائحة

المنبعثة من المستنقعات المائية، أو من الجيفة الميتة، أو من الأطعمة الفاسدة، أو من الروائح الكريهة.

ولو كانت الكراهية شجرة، لكان جذرها البُغض، وساقها الحقد، وأغصانها الحمق، وورقها القبح، وثمرها العداوة والخصومة. ولو كانت الكراهية رجلاً لكان رأسه السفه، وقلبه الجهل، وروحه الخسة، ورجلاه السخط، ويداه الضعة، وعيناه الرذالة، وفمه الكذب، ولسانه الفحشاء، وأذناه الشماتة.

ولو كانت الكراهية جبلاً لكان حصاه من سوء الخلق، ولو كانت بحراً لكانت قطراته من اللؤم، ولو كانت براً لكان رمله من التعصب.

إن نفث سموم الكراهية وسط المجتمع واصطناع الاختلاف والتباين بين شرائحه وفقا للمناطق والمذاهب واللهجات، هي خطر وشر مستطير، لن ينجو منه احد، ولن يستفيد منه سوى تجار الفتن والحروب الذين اعتادوا المتاجرة بدماء الأبرياء، وجني الأرباح السياسية والمالية على حساب جثث البسطاء والأطفال والنساء.

إياكم وتلك الثقافة التي يحاول البعض إيصالها إلى هذا المجلس، ونشرها في أوساط الناس .. لأن عاقبتها وخيمة، ندعو الكل لرفض لكل أشكال نشر ثقافة الكراهية.

إننا بحاجة إلى خطاب صارم ضد الكراهية، يمقتها ويجرمها ويشنع عليها، ومن يمارسها أو تصدر منه يكون منبوذاً، ولأننا بحاجة لأن يرفع الجميع صوته عالياً ومدوياً ضد الكراهية هذا الفعل البغيض، ولننقلها بكل لغات العالم ولهجاته، وبلغة الإشارة والرموز كفى كراهية، ولنتحد ضد الكراهية.

الفهـــــرس

الصفحـــــة



سلسلة لا

هي صرخة

في وجه المجتمع

الذي يهدده التفكير

المتعصب، والكراهية،

والتحيز، والتمييز

الذي سيطر

ومازال يسيطر

على عقول الكثيرين

الناشر

